

## سياسة الفاطميين الخارجية تجاه الأمويين في الأندلس

(297هـ / 909م إلى 397هـ / 1007م)

د. عاشور محمد سعيد أبوخريص - كلية التربية جادو - جامعة نالوت

### الملخص :

اتسمت العلاقات الفاطمية الأموية في الأندلس بطابع عدائي منذ، قيام الدولة الفاطمية بشمال أفريقيا، فقد حاول الفاطميون الاستيلاء على الأندلس، بثتى الطرق والوسائل، من مناصرة الثورات الداخلية إلى إرسال الجواسيس، ثم إلى الأعمال الحربية، وقابلهم الأمويون بنفس الإجراءات، وابتعدوا عنهم، وأخر محاولة كانت من الأمويين في سنة 397هـ 1009م.

### Abstract

Umayyad. Fatimid relations in Andalusia Were characterized by a hostile nature since the establishment of the fatimid state in North Africa. The Fatimids tried to seize control of Andalusia in various ways and means, from subverting internal conspiracies to sending spies. The Umayyads met them when the Fatimids moved away to Egypt, they moved away from them. The last attempt was by the Umayyads in 397. 1009m

### المقدمة :

كانت سياسة الفاطميين تجاه الأمويين في الأندلس، عدائية منذ استيلائهم على السلطة في شمال أفريقيا، من الأغلبية، فقد عمل الفاطميون، كل ما في وسعهم من أجل الاستيلاء على الأندلس، فأرسل عبيد الله المهدي، الجواسيس والعيون إليها، وعمل على مناصرة الثورات الداخلية، كثورة ابن حفصون، ثم أرسل حملة إلى بلاد المغرب لإخضاع المناطق المغربية الموالية للأمويين بالأندلس، واستقبل الفارين منهم واحسن إليهم.

وفي المقابل قام عبدالرحمن الناصر حاكم الأمويين في الأندلس، حيث اتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين، ثم بدأ بدعم الثورات الداخلية بالمغرب كثورة أبي يزيد (صاحب الحمار)، التي كادت تسقط الدولة الفاطمية، واستقبل أعداء الفاطميين، لقد كان

للصراع الفاطمي، الأموي على بلاد المغرب آثاراً سلبية على الطرفين ، وبقي أمراء هذه البلاد في مواقف محرجة ، بين الولاء للفاطميين تارةً ، والأمويين تارةً أخرى.

### مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في توضيح عمق الخلافات بين الأمويين في الأندلس، والفاطميين في تونس مقر قيادتها بالمهدية ، وكيف استعد كل منهم للآخر.

### تساؤلات البحث :

ويمكن طرح التساؤلات الآتية ، ما هو سبب العداء بين الفاطميين والامويين؟ كيف كان موقف إمارات المغرب الأقصى، في ضل تلك الحروب والمؤامرات؟ كيف قابل الأمويون مناصرة الفاطميين للثورات الداخلية في الأندلس؟

### هدف البحث :

تهدف هذه الدراسة إلى

- 1- تسليط الضوء على العلاقات الفاطمية الأموية بالأندلس ، وما شابها من توتر، وحروب ، ودسائس بينهما، من أجل سيطرة أحدهم على الآخر
- 2 - تعريف الأجيال القادمة والقارئ العربي بهذه المعلومات ، وإثراء المكتبات بمعلومات عن علاقة هاتين الدولتين في تلك الحقبة من التاريخ.

### منهج البحث :

وقد اتبعت في هذا البحث، المنهج التاريخي ، من خلال تتبع الأحداث مما أوردته المصادر والمراجع ، ثم تحليلها.

### نبذة عن تاريخ الخلافات الأموية العباسية:

عند التحدث عن السياسة الخارجية للفاطميين تجاه الدولة الأموية بالأندلس بالضرورة، أن نوضح بشكل موجز الوضع السياسي ونظام الحكم في الأندلس، وأسباب الخلافات القديمة.

لقد بدأ الفتح الإسلامي للأندلس سنة 92هـ/711م على يد موسى بن نصير وطارق بن زياد ، الذي اكتمل بعد سنتين تقريبا ، فأصبحت الأندلس إمارة إسلامية تابعة للخلافة الأموية في دمشق ، يحكمها والي يعرف بالأمير ، يتبع أمير أفريقيا من الناحية

الإدارية ، وقد كان والي أفريقية هو الذي يعين ولاية الأندلس في أغلب الأحيان واستمر هذا الوضع حتى سنة 138هـ / 756م ، وهذه يطلق عليها الفترة الأولى ، وأما الفترة الثانية وهي 138هـ / 316هـ / 756-929م أي : منذ دخول عبد الرحمن ، الأول\* (الداخل) الأندلس، حتى إعلان عبد الرحمن الثالث نفسه خليفة للمؤمنين ، وتلقبه بالناصر لدين الله، وفي هذه المرحلة أصبحت الأندلس إمارة مستقلة سياسياً عن الخلافة العباسية في بغداد.

إن المتتبع للعلاقات الهاشمية الأموية ، يجد أن الخلافات بينهما، تمتد إلى ما قبل ظهور الإسلام ، وكذلك بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، زاد الجفاء بينهما حدة، وعنفاً، وكرهية وخاصة بعد أن بدأ التنافس على منصب الخلافة ، بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - ، التي فاز بها معاوية في النهاية ؛ إثر موقعة صفين، وما نتج عنها من قضية التحكيم وما استعمل فيها من أساليب المكر والخديعة والدهاء ، من الداهيتين معاوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص<sup>(1)</sup> ، وبعد انتقال الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان ، وأصبحت الخلافة للبيت الأموي وراثياً ، زاد الحقد بين الطرفين ، وزاد أذى الأمويين للهاشميين ، وذلك لحملهم عن التنازل عن حقهم في الخلافة ، وقتل كل من يحاول أو يطالب بها ، وكردة فعل حاول الهاشميون استرجاع الحكم لهم ، لأنهم رأوا أنهم أحق بالخلافة من الأمويين فهم الورثة الشرعيون لخلافة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- (2) ، والذي ينتمي إلى آل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولزوجه فاطمة الزهراء بنت النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وأم الحسن والحسين ؛ إذ اتسعت رقعة العداة ولم يعد محصوراً في شبه الجزيرة العربية، ولا في عاصمة الأمويين دمشق ، بل تجاوزها حتى وصل، إلى الشمال الأفريقي، وبلاد الأندلس، واستمر هذا التنافس الأموي سني المذهب وبين الشيعي الذي تولته الدولة الفاطمية فيما بعد.

فمنذ قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب انتهجت سياسة توسعية على حساب جيرانها ودأبت على استغلال موارد المغرب العربي ، البشرية والاقتصادية، وتوظيفها لتحقيق سياستهم التوسعية التي كانت مرسومة مسبقاً لدى عبيد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين ، الذي وجه أنظاره بعد قيام دولته واستقرارها في المغرب الأدنى (تونس) ، إلى مقارعة العباسيين، وذلك باحتلال مصر منهم كخطوة أولى في التوسع غرباً وشرقاً، إلا أنه فشل في تحقيق ذلك من خلال حملتين متتاليتين ويرى الباحث أن الأسباب هي:

1 - بعد خطوط الإمداد العسكري بين تونس ، ومصر ، حيث تبلغ مسافات شاسعة سواء كان برا أو بحرا مع صعوبة وصول الإمدادات في الوقت المطلوب ، وأما الطرف المقابل فله ميزة القرب وسرعة الإمداد في كل المجالات.

2 - عدم تقبل المصريين للمذهب الشيعي ، حيث إنهم من أتباع المذهب السني وقربهم من مكة المشرفة، والمدينة المنورة منبع المذهب السني.

وقد بدأ عبيد الله المهدي يوجه أنظاره نحو بلاد الأندلس التي كانت تحت الحكم الأموي أعداء العلويين التقليديين ، ولتحقيق هذا الهدف اتخذ عدة وسائل منها:

### أولاً - إرسال الدعاة والعيون (الجواسيس):

اعتنى الفاطميون عناية شديدة بالدعاة، والجواسيس، وبحكم خبرتهم في هذا المجال، فإنهم كانوا أكثر مهارة في هذه الناحية من الأمويين ، نظرا لما اكتسبه أصحاب الدعوة الإسماعيلية من خبرة ، ولما يمتازون به من دقة في التنظيم وقوة شخصية دعائها، التي اكتسبوها من خلال تنظيم الدعوة الإسماعيلية في المغرب، والشام والجزيرة العربية، وطرق الإخفاء والدعاية والتأثير في غيرهم ، وذلك بفضل الظروف القاسية التي مرت بها ، فبعد أن استقر الحكم لعبيد الله المهدي في القيروان ، وترسخت أركان الدولة الفاطمية، بدأ بإرسال الجواسيس إلى الأندلس، ولتعزيز الدعاة الموجودين بها ، واستطلاع ومعاينة مختلف الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، وتحديد مواطن الضعف والقوة بها (3).

ومن أهم هؤلاء الجواسيس أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني المعروف بالرياضي المتوفى سنة (298هـ/910م)، الذي تولى منصب الكتابة عن الأندلس وإرسالها إلى عبيد الله المهدي في القيروان ، ثم خلفه في هذا المنصب أبو جعفر بن أحمد بن هارون البغدادي ، بعد وفاة أبو اليسر، والذي عاصر عبيد الله المهدي وابنه القائم، فاستفادت منه الدولة الفاطمية كثيرا بحكم اطلاعه على أحوال الأندلس السياسية ، والعسكرية، والاقتصادية ، والدينية عن قرب ، والكتابة في هذا الشأن إلى القيادة المركزية في المهدي التي كانت متلهفة لمعرفة أخبار الأندلس من كل النواحي ، كما يرجع إليه الفضل في نشر تعاليم المذهب الشيعي بين بعض سكان الأندلس ، ومن الجواسيس الذين دخلوا الأندلس - أيضاً- ، أبو القاسم بن حوقل النصبي (4) الذي دخل في بداية سنة 337هـ/948م بصفة تاجر في عهد المعز لدين الله الفاطمي ، واهتم ابن حوقل بمسالكها، وطرقها، ثم ركز على ما تحويه الأندلس من خيرات ، وكتب بها القيادة المركزية في

المهدية (5)، وأوضح لها أن بالأندلس معادن الزئبق والحديد ، والرصاص، وكذلك بها الصوف الذي تصنع منه أصناف كثيرة من الملابس الفاخرة غالية الثمن ، كما يصنع بأغلب مدنها الكتان ، الذي يصدر إلى الخارج، وتشتهر مدينة بجانة المشهورة بأرديتها الممتازة ، التي تُصدر إلى مصر ومكة المكرمة واليمن، ومدن الأندلس كثيرة الخيرات من الفواكه والكروم ، والتين ، كما تكثر بها الغلال وغيرها ؛ ثم التجارة والأسواق والحمامات والمساجد، كما أنه أعطى صورة واضحة عن كل مدن الأندلس وما تحوية من خيرات وبما تشتهر به. (6)

ويرى الباحث أن من بين أسباب العداء بينهم هو الطمع في خيرات الأندلس ، فضلا عن أطماع السلطة وتوسعها، والقضاء على أعداهم التقليديين.

كما ذكر ترتيباً لموارد الدولة الزراعية منها والصناعية أو الجبايات ، وأشار إلى ما بها من الأموال ما لا يوجد بالأقطار الإسلامية حيث قال عن ذلك ما نصه : " إن عبدالرحمن بن محمد لديه مما أتيح له جمعه من الأموال إلى سنة أربعين وثلاثمائة ما لم ينقص من عشرين ألف دينار إلا اليسير القليل.. ، ولم يكن لهذا المال في وقته في بلد الإسلام شبة إلا ما كان في يد الغضنفر أبي تغلب بن الحسن بن عبدالله بن حمدان" (7) ، وإما من ناحية العسكرية (البرية والبحرية)، فقد ذكر أن جيوشهم بعيدة عن البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال، لتركهم أسباب الفروسية وقوانينها(8) ، وإن كثرة حروبهم تعتمد على الكيد والحيلة ، ولا يجيدون فنون الفروسية ؛ إذ لا يوجد بالأندلس أكثر من خمسة آلاف فارس من الذين يتقاضون مرتباتهم من بيت المال ، وذلك لأنهم كانوا مهتمين بأهل الثغور، البرية والبحرية خوفاً من كيد أعدائهم المتربصين بالأندلس سواء من الروم أو الجلائقة أو النورمانديين. ومن الناحية السياسية أوضح أن الأندلس تتعرض للعديد من القلاقل والثروات الداخلية مثل ثورة ابن حفصون ، والأخطار الخارجية كخطر الجلائقة في الشمال والنورمانديين والروم من ناحية البحر(9).

كما اعتنق مذهب الشيعي الشاعر الأندلسي ابن هانسي \* الذي اكتشف ميوله إلى الإسماعيلية المعادية للمذهب السني المنتشر في الأندلس ، إذ تم طرده من الأندلس والتحق بصاحب المسيلة\*\* جعفر بن علي بن حمدون الجذامي المعروف بابن الأندلسي الذي بالغ في إكرامه ، فمدحه بشعر كثير، (10) ثم أرسله إلى بلاط المعز لدين الله الفاطمي، وقد أسهم ابن هانسي بأشعاره في تدعيم الدولة الفاطمية ، وبالغ في تعظيم الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، ومن أمثلت مدحه للمعز قوله:

## ما شئت لا ما شاءت الأقدارُ فاحكمُ فانت الواحد القهارُ (11)

وبالرغم من هذه العناية والاهتمام بأمر الدعاة والجواسيس ، من قبل الفاطميين، فإن مجهوداتهم في هذا المجال لم تؤثر التأثير المنتظر بين أهالي الأندلس (12) ، وذلك بسبب تمسك الأندلسيين بمذهبهم وتفطن أمراء الأندلس للمخططات الفاطمية، فقد أرسل عبدالرحمن الناصر - أيضاً- ، بعيونه إلى المغرب للتجسس على قوة الفاطميين العسكرية ، ومعرفة علاقاتهم بأهالي الأندلس القاطنين بالمغرب ، والذين كانوا معارضين في الأندلس، ومن الذين دخلوا المغرب من أجل التجسس والقيام بالدعاية المضادة للمذهب الشيعي أبو جعفر محمد بن خيرون الأندلسي المعافري ، إلا أنه تم اكتشاف نواياه ومعرفة أهدافه ، فأمر القاضي الفاطمي المروزي بقتله ، وكذلك أبو علي حسن بن مفرج الفقيه، ومحمد الشذوني الزاهد، والذي أمر عبيد الله المهدي بقتلهما بعد أن اكتشفت معارضتهما للمذهب الشيعي ، وتفضيلهما الصحابة على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - (13)

### ثانياً - مناصرة الثورات ضد الأمويين في الأندلس :

1- ثورة عُمر بن حفصون : ويعد عمر بن حفصون أمام الثوار في الأندلس وأقدرهم وأعلامهم ذكرا ، وأشدهم سلطاناً، وأفواهم في مواجهة الخلافة الأموية في الأندلس ، أطاعته أكبر مدن وسط وجنوب الأندلس الواقعة بين رية والجزيرة الخضراء من جهة ، والبيرة وأحواز قرطبة من جهة أخرى ، حيث تحصن بقلعة ببشتر\* من كور رية (14) كان ابن حفصون في بداية الثورة، يهدف إلى الإطاحة بدولة بني أمية للاستئثار بولايتها في ظل الخلافة العباسية ، ويتضح ذلك من خلال مكاتبة إبراهيم بن أحمد الأغلب أمير أفريقية حيث أوضح له بأنه يعمل لبني العباس، وقد تبادل الهدايا ، وبعد سقوط دولة الأغلبة وقيام الدولة الفاطمية في القيروان سنة 296هـ/908م، اتصل ابن حفصون بعبيد الله المهدي ، وأظهر أنه يريد ضم الأندلس إلى الحكم الفاطميين في القيروان ، فقبل المهدي هذا العرض ووعده بالنصرة ، وبدأت إمدادات عبيد الله المهدي تصل إلى السواحل الأندلسية ، عن طريق المراكب البحرية الفاطمية، التي كانت تنقل إليهم الميرة والعتاد ، حيث رست أولى هذه الإمدادات في سنة 301هـ 913م (15) ، وصلت أخبار هذا التعاون بين الفاطميين والثائر ابن حفصون، والي أمير الأندلس عبدالرحمن الناصر فبادر بقطع الاتصالات بين ابن حفصون والفاطميين، وقام بما يسمى حصار بحريا على الشواطئ الأندلسية التي تمون ابن حفصون، وحرق كل السفن والمراكب البحرية الفاطمية الواردة إليه. (16)

2- **لجوء علي بن حمدون إلى الفاطميين:** وصل علي بن حمدون إلى المغرب من الأندلس، واتصل بالمهدي ثم بابنه القائم وكسب ثقتهم، فأسند إليه القائم بناء مدينة المسيلة سنة 313هـ/925م، وهي التي سميت بالمحمدية، ثم عقد له على ولاية الزاب في جنوب المغرب الأوسط (17)، ولما قامت ثورة أبي يزيد الخارجي (صاحب الحمار) في جبال أوراس، والذي بدأ يزحف بجيشه إلى المهدي عاصمة الفاطميين، وتجلّى فيها جلده وقوة نفسه وكاد أن يسقط الخلافة الفاطمية، فكتب الخليفة القائم إلى علي بن حمدون يطلب منه المدد بقبائل المغرب في الزاب، فكانت لابن حمدون جولات مع أبي يزيد، وانتهت ثورته عندما سقط من بعض الشواهد، حيث مات ومثل بجثته، سنة 336هـ/947م، كما عقد المنصور الخليفة الفاطمي بعد الفتنة، لجعفر بن علي بن حمدون على المسيلة، والزاب بالاشتراك مع أخيه يحيى بن علي (18)

### ثالثاً - الصراع العسكري - البري والبحري - :

لقد كان الخطر الفاطمي عظيماً على الأمويين في الأندلس، وخاصة بعد القضاء على أغلب ممالك الإدارة بالمغرب (19) حيث أصبح الاتصال مباشراً بين الطرفين، وقد أدرك الأمويون هذا الخطر، فحشدوا كل قواهم المادية والعسكرية، من أجل الوقوف بكل قوة في وجه الفاطميين، وأدرك عبد الرحمن الناصر خلال فترة حكمه (300-350هـ/914-962) أهمية البحرية في مواجهة الخطر الفاطمي، فأولى اهتماماً كبيراً بالبحرية الأندلسية، وإعدادها إعداداً جيداً، لحماية السواحل، والمدن الساحلية الأندلسية. وقد ذكر ابن عذاري أن عبيد الله المهدي، بعد أن استقرت له الأمور في القيروان كاتب حكام الدويلات التي كانت قائمة في المغرب الأوسط والأقصى يدعوهم إلى الدخول في طاعته، والانضواء تحت إمرته، وكان من ضمنهم سعيد بن صالح صاحب نكور (20) فقد ذيل كتابه بأبيات شعرية كثيرة منها:

فإن تستقيموا استقم لصلاحكم وإن تعدلوا عني أرى قتلكم عدلاً

وأعلو بسيفي قاهراً لسيوفكم وادخلها عفواً وأملأوها قتلاً (21)

فرد عليه شاعر آل صالح من شعراء الأندلس من أهل قرطبة أمره يوسف بن صالح، بأبيات كثيرة منها قوله:

كذبت وبيت الله لا تحسن العدلا ولا علم الرحمن من قولك الفضلا

فما كنت إلا جاهلاً ومنافقاً تمثل للجهال في السنة المثلا

وهمتنا العليا لدين محمد وقد جعل الرحمن همتك السفلى (22)

فكتب عبيد الله المهدي إلى مصالة بن حبوس، عامله على تاهرت، يأمره بالزحف إلى نكور، ومحاربة سعيد بن صالح، فخرج مصالة ونزل بالقرب من نكور؛ استمر قتاله مع سعيد بن صالح ثلاثة أيام، حاول خلالها أحد رجال سعيد من العرب المغاربة يقال له أحمد بن العباس من بني يطوفت، اقتحام مقر مصالة مع سبعة من فرسانه، فتم القبض عليهم وأسره، وقد أمر مصالة بضرب أعناقهم، فقال أحمد لمصالة " ليس مثلي يقتل " فقال: مصالة لم؟ قال: لأنك لا تطمع في سعيد إلا بسببي فاستبقاه وقربه، ثم جهزه بجيش اقتحم به المقر سعيد بن صالح من مكان لا يتوقعه، فهزم سعيد وتفرق جمعه، وأرسل سعيد إلى المدينة وأخلى قصره وأركبهم في مراكب في البحر، واتجهوا إلى مالقه\* وبجانة فاستقروا بها لقربها من بلدهم (23)، وبعد رجوع مصالة إلى تاهرت، استخلف أحد رجاله على نكور يقال له دلول، فلما وصل خبر رجوع مصالة إلى تاهرت، قام عبدالرحمن الناصر بتجهيز آل صالح بكل ما يحتاجون إليه لاسترجاع سلطانهم، وقد ذكر البكري في هذا الصدد فقال: " فأمر بإمداد آل صالح بما يحل من الأخبية الشريفة والآلات العجيبة... والبنود والطبول والدروع، وجميع الأسلحة (24) لقد ترکز الصراع بين الدولتين على المراكز الساحلية لشمال المغرب الأقصى مثل مليلة، وسبتة، وطنجة، وتنيس وغيرها من المدن الاستراتيجية الساحلية، وهذا الأمر الذي جعل حكام وهذه المناطق في موقف حرج فتارة يدينون بالولاء والطاعة للفاطميين وتارة للأمويين.

وفي سنة 315هـ/927م ذكر ابن الأثير أن عبيد الله المهدي سير جيشاً كثيفاً بقيادة ابنه أبي القاسم، وذلك لما قام به محمد بن خزر الزناتي التابع للأمويين بانتصار جيش من كتامه، وقتله لأعداد كبيرة منهم، فعظم ذلك علي المهدي فسير ولده، وقد تفرق الأعداء من أمامه حتى وصل إلى ما وراء تاهرت، وعند عودته اختط مدينة المسيلة وهي المحمدية، التي كلّف علي بن حمدون بينائها وبولايتها (25)، وذكر ابن عذاري أنه في سنة 319هـ خرج أسطول عبدالرحمن الناصر من الأندلس، بقيادة أحمد بن محمد بن إلياس ويونس بن سعد في عدد من المراكب البحرية، فجاز إلى العدو المغربية وحاصر هذا الجيش ابن أبي العيش، بسبب محاربتة لموسى بن أبي العافية، واستمر إلى أن حل الشتاء بينهما، ورجع الأسطول إلى الأندلس بمن فيه. (26)

وبعد وفاة المنصور الفاطمي، تولى ابنه المعز لدين الله الفاطمي، أمر عماله بالإحسان إلى القبائل المغربية، فدخل في طاعته أغلب مناطق وقبائل المغرب، وفي سنة

347هـ/958م سير المعز لدين الله جيشاً بقيادة وزيره جوهر الصقلي، وكان معه زيري بن مناد الصنهاجي وأمرهما بالمسير في شهر صفر إلى أقصى المغرب، فسار، حتى وصلا تاهرت فحضرا عنده يعلي بن محمد الزناتي فأكرمه وأحسن إليه ثم خالفه فقبض عليه وقاتل أصحابه حتى هزمهم ودخل مدينتهم بالسيف ونهب قصور يعلي وأخذ ولده، وأمر بهدم المدينة وإحراقها، ثم سار منها إلى فاس (27) حيث نازلها مدة وتركها لحصانة أسوراها، وبدأت هدايا أمراء الفاطميين بالسوس الأقصى تفد إليه ثم أشار عليه أصحابه بالرحيل إلى سجلماسة، فقد كان صاحبها محمد بن واسول قد تلقب بالشاكر لله ويخاطب بأمرير المؤمنين، وضرب السكة باسمه، وهو على هذا الأمر مدة ست عشرة سنة، وعندما سمع بجوهر دخل إلى سجلماسة، فأخذوه أهل سجلماسة أسيراً إلى جوهر (28)، وسار إلى أن وصل إلى البحر المحيط فأمر أن يصطاد له سمكة فاصطادوا له، فوضعه في قلال الماء وحمله إلى المعز، وفتح البلاد المغربية التي في طريقه وعاد إلى فاس فقاتلها مدة ثم تسلل زيري بن مناد وبعض شجعان صنهاجة، وتسلفوا الأسوار وافتتحوا الأبواب ودخل جيش جوهر إلى المدينة في رمضان سنة ثماني وأربعين وثلاثمائة وأخذ صاحبها أحمد بن بكر وجعله مع صاحب سجلماسة، وحملهما في قفصين إلى المعز بالمهدية، واستخلف زيري على تاهرت، ورجع إلى المهديّة (29)، ولم يتعرض بسوء للحسن بن كنون المعتصم بقلعة حجر النسر (30)، وبعد أن فتح مدن المغرب ومنها سجلماسة وفاس، ولكنه عجز عن فتح سبته وطنجة (31).

وهذا الوضع المتذبذب لشمال المغرب الأقصى، القائم على العداء قد تطور من الحرب الباردة إلى الحرب البرية القائمة على إعداد العدة، واحتلال المواقع المهمة؛ وأثارت الفتن بين القبائل وتدبير المؤامرات والدسائس بينهم، إلى صدام بحري مسلح.

فقد ذكر ابن الأثير في وصفه لبداية هذه الاشتباكات، أنه في سنة 344هـ/955م أنشأ عبدالرحمن الناصر مركبا بحريا كبيراً، الأول من نوعه في المنطقة، وسيره إلى بلاد المشرق وفيه أمتعة من الأندلس فوجد في البحر مركبا للفاطميين فيه رسول من صقلية إلى المعز فقطع عليه أهل المركب الأندلسي الطريق، وأخذوا ما فيه من الأمتعة وكذلك كتاب إلى المعز، حيث بلغ ذلك المعز، فأمر بتجهيز أسطول كبير واستعمل عليه الحسن بن علي صاحب صقلية وسيره إلى الأندلس، فوصلوا إلى المرية، فدخلوا إلى المرسى وأحرقوا جميع المراكب الراسية فيه، (32) وأخذوا المركب الكبير، بعد عودته من الإسكندرية وبه أمتعة تخص عبدالرحمن الناصر وجوار ومغنيات، ثم صعّدوا إلى

البر فقتلوا ونهبوا، ورجعوا إلى المهديّة سالمين (33) ، وعندما وصل الخبر إلى عبدالرحمن الناصر سير أسطولاً إلى بعض المدن الساحلية كسوسة، ومرسى الخرز، وطبرقة، حيث كان مرسى الخرز قاعدة بحرية تبنى بها المراكب الفاطمية، فاضرموا النار في بعض منشآتها، ونزلوا إلى البر فقصدتهم عساكر المعز فعادوا إلى مراكبهم ورجعوا إلى الأندلس وقد قتلوا وقتل منهم أعداد كبيرة (34)، كما أن الأمويين أعادوا الإغارة على السواحل الفاطمية، في سنة 347هـ/958م بأسطول بحري، بقيادة أحمد بن يعلي ، فهاجم هذا الأسطول تلمسان، ثم رجع إلى قرطبة ومعه ابن عم يعلي بن محمد اليفرني ، الذي قتله جوهر الصقلي. (35)

لقد استمرت هذه الغارات، والاشتباكات البحرية متبادلة بين الطرفين على المناطق الساحلية المغربية دون توقف تقريبا ، وقد شعر الفاطميون بصعوبة غزو الأندلس، إذ جاء فتح الفاطميين لمصر كمخلص لهم من عناء بلاد المغرب ، ومواجهة الأمويين في الأندلس ، فقد تركوا ذلك لحلفائهم بني زيري بتونس ، وبالرغم من انتقال الفاطميين إلى مصر فإن المواجهة بين الطرفين لم تنته ، بل إن الأمويين حاولوا القضاء على الفاطميين في مصر، والشام ففي عام 395هـ/1005م قامت ثورة سنية في إقليم برقة ، بقيادة أحد أفراد البيت الأموي ، وهو الوليد بن هشام من ولد المغيرة بن عبدالرحمن الداخل ، ويلقب (أبو ركوة) ، وكان متصوفاً، واشتغل بتعليم الصبيان، وبعد أن قوي أمره ثار على الفاطميين، ودعا على المنابر باسم الخليفة الأموي هشام المؤيد ، واستولى على برقة، وانتصر على الجيوش الفاطمية ، واستطاع سنة 397هـ/1007م أن يطارد الجيوش الفاطمية ، حتى أهرام الجيزة، وقد شعر الفاطميون بهذا الخطر فكرسوا كل قواهم وعقدوا لقائد الجيش علي أبي الحسن علي بن فلاح والفضل بن صالح ، وتم تسخير القوات البرية والبحرية ، من أجل هزيمة أبي ركوة ، وبفضل هذه الجهود الحربية هزم وأسرى ، وعرض في القاهرة، عرضاً مزرياً ثم قتل وصلب (36)

إن هذا الفشل الذي صاحب دعاة الفاطميين في عدم تمكنهم من نشر المذهب الشيعي بين سكان الأندلس يجعل الباحث يتساءل عن الأسباب التي كانت وراء هذا الفشل.

ويرى الباحث أن الإجابة عن هذا السؤال في النقاط التالية :

أولاً: إن المذهب السائد في الأندلس هو المذهب المالكي ، الذي دخل الأندلس في عهد هشام بن عبدالرحمن عن طريق تلاميذ مالك بن أنس ، أمثال الغازي بن قيس، وزياد بن عبدالرحمن المعروف بشبظون وعيسى بن دينار وسعيد بن أبي هند ، حيث رحب

بهم هشام وأذن لهم بتدريس مذهب مالك بين المسلمين في الأندلس، وأخذ القضاة بالحكم به (37)، وسكان هذه البلاد شديدو التعلق بهذا المذهب بسبب تأصل هذا المذهب بين سكان الأندلس، فضلا عن قيام الأمويين بالدعاية للمذهب السني في المغرب والأندلس ومصر، وشجعوا التأليف في الشؤون الأفريقية الشيعية بقصد إظهار عيوب الفاطميين.

**ثانياً:** لقد كانت سياسة أمراء الأندلس إزاء السكان سياسة مقبولة، فقد وضع عبدالرحمن الناصر نظاماً إدارياً جديداً أعطى للدولة هيبه ومكانة رفيعة، فقد أكثر من القواد في الجيش وتعددت مراتبهم وأكثر من الوزراء، وازدادوا هيبه، وأكثر من نقل الوزراء والقواد والعمال في كل سنة تقريبا، والهدف من وراء ذلك ألا تطول ولايتهم فيستبدوا بالسلطة، دون الخليفة وحتى لا يتمكنوا من الانفصال بنواحيهم عن الخلافة، التي قد تؤدي إلى فتنة في البلاد، كما حدث في فتنة عمر بن حفصون (38)

**ثالثاً:** قوة شخصية عبدالرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م)، الذي عاصر الدولة الفاطمية منذ قيامها، فتمكن من إحباط كل محاولاتهم، والقيام بدعاية منظمة مضادة لأفكارهم، ومن ثم لم ينجح الفاطميون في كسب الرأي العام الأندلسي، وبذلك فشلوا في تحقيق أهدافهم التوسعية؛ لأنهم وجدوا مقاومة قوية على مختلف المستويات (39). وبسبب ما اتخذ عبدالرحمن الناصر من خطوات ايجابية في مواجهة النفوذ الفاطمي والمتمثلة فيما يلي:

1- إعلان نفسه خليفة في سنة 317هـ/929م، ردا على الخلافة الفاطمية في المغرب الأدنى بعد ضعف الخلافة الإسلامية في بغداد (40)

2- تقوية الأسطول الأندلسي، فقد اهتم منذ بداية حكمه، بإعداد أسطول بحري قوي كامل الإعداد والتنسيق، وبذل في ذلك جهودا جبارة لدرجة أن عمال دور الصناعة لم يجدوا وقتا للراحة. (41)

3- تحصين السواحل والثغور الأندلسية المواجهة للمغرب، حيث قام بتحسين سواحل وثغور المنطقة الجنوبية، التي كانت عرضة لأي غزو مفاجئ يقوم به الفاطميون من بلاد المغرب.

4- احتلال الثغور المغربية المطلة على المضيق، فقد قام بالاستيلاء على مليلة سنة 314هـ/926م وبنى وبها سورا وجعل عليها مرسى بن أبي العافية الذي تراجع عن طاعة الفاطميين، ولجأ للأمويين في الأندلس، ثم استولى على سبتة سنة 319هـ/931م

وقام بتحسينها، واحتل مدينة طنجة الساحلية، كما احتل جزيرة أرشقول سنة 320هـ /932م، وبهذا استطاع السيطرة على الملاحة في مضيق جبل طارق ، وكان يتدخل في سياسة المغرب لإثارة القبائل المغربية ضد النفوذ الفاطمي (42)

5- اصطناع ملوك ورؤساء القبائل في المغرب فقد استمال عبد الرحمن الناصر أمير دولة الأدارسة في قلعة النسر أو حجر النسر التي تقع بين قبائل غمارة ، كما تحالف مع بني صالح في نكور، والأدارسة في المناطق الشمالية بناوحي البصرة وأصيلاً، وعمل على التحالف مع زناته وقام بتحريضها على محاربة صنهاجة حليفة الفاطميين (43)

6- تأييد ثورة أبي يزيد الخارجي (صاحب الحمار) ؛ إذ لم يتردد الخليفة الأموي في الأندلس في تأييدها وإمدادها بالمساعدات المالية ، وفي المقابل اعترف أبو يزيد بسيادة عبدالرحمن الناصر، والدعاء له في البلد التي خضعت له ، فقد شغلت هذه الثورة عهد الخليفة محمد القائم وجزءاً من عهد ولده المنصور إلى أن قتل في سنة 336هـ /947م.

7- عمل الناصر على توطيد علاقاته مع الأخشيديين في مصر، فأرسل إليهم عشرة آلاف دينار لتوزيعها على الفقهاء والعلماء من المذهب المالكي، لمحاربة الدعاية الشيعية لديهم ، وقد كان رئيس المدرسة المالكية في مصر هو أبو إسحاق محمد بن القاسم والذي يعرف بابن القرطبي، هو عالم أندلسي، يكره الفاطميين (44)

8- التحالف مع أعداء الدولة الفاطمية من ملوك أوروبا والمشرق ، حيث لم يتردد عبدالرحمن الناصر في إبرام الاتفاقيات وعقد الأحلاف مع ملوك الدول المعادية للفاطميين فقد تحالف الأمويون مع قسطنطين السابع إمبراطور الدولة البيزنطية، الذي كان يرغب استرجاع صقلية من الفاطميين (45) كما أنه تحالف مع صاحب جنوه هوج دي بر وفاس (Hajues de broveneco) وهو الآخر كانت لديه الرغبة في الانتقام من الفاطميين لكونهم قاموا بتخريب مدينته ، وقد أرسل قسطنطين السفارات والرسل إلى عبدالرحمن الناصر في سنتي 334هـ/955م، 338هـ/959م، وقد استقبلت هذه السفارات استقبالاً حافلاً وبحفاوة بالغة. (46) ، كما يشير القاضي النعمان إلى أن أمير الأندلس تحالف مع الروم من أجل الإغارة على الفاطميين، وتبادلوا الهدايا، وجاءت أساطيل الروم من القسطنطينية، ومراكب بني أمية من الأندلس، (47) ولم تحقق هذه الحملة أغراضها بسبب مقاومة الأسطول الفاطمي والصقلي لها وهزيمتها.

## نتائج سياسة الفاطميين اتجاه الأمويين في الأندلس

لقد كان للسياسة الخارجية العدائية مع الأمويين في الأندلس عدة نتائج سلبية وإيجابية على الطرفين أهمها:

### أولاً - النتائج السلبية:

- 1- لقد استنزفت الحروب والاستعدادات العسكرية بين الطرفين موارد الدولتين البشرية، والاقتصادية، وأثقلت كاهل مواطنيهم بالضرائب، والانشغال بالحروب عن أعمالهم الاعتيادية كالصناعة، والزراعة، والرعي.
- 2- وجد أعداء الإسلام في ذلك الوقت، فرصة مناسبة في بث الفرقة بين الأخوة، وكسب استرجاع بعض المناطق من المسلمين كجزيرة قريطش سنة 350هـ/961م وجزيرة قبرص سنة 352هـ/963م، كما أوقف إلى حد كبير المد الإسلامي في أوروبا وذلك بالرغم من محاولات الفاطميين السيطرة على المناطق الجنوبية من إيطاليا واحتفاظها بجزيرة صقلية.

### ثانياً- النتائج الايجابية.

- 1- اعتمدت كلتا الدولتين على نفسها وكونتا أسطولاً بحرياً قوياً، كان له الفضل في المحافظة على تبعية جزر البحر المتوسط، التي بقيت قلاعاً دفاعية عن الشواطئ الإسلامية في شمال أفريقيا كصقلية بالنسبة للفاطميين، وجزر البليار بالنسبة إلى الأمويين في الأندلس.
- 2 - كما فرضت سيطرتهم على الحوض الغربي للبحر المتوسط، دون البيزنطيين وأخذت، بأسباب القوة العسكرية، والاقتصادية، مما كان له أكبر الفضل في تماسك وحدتهما وتجاوزهما الأخطار الداخلية والخارجية.

### الخاتمة:

لقد اتخذ الفاطميون سياسة معادية للأمويين في الأندلس، منذ تأسيس دولتهم في الشمال الأفريقي، فعملوا كل ما بوسعهم لتحقيق هذا الهدف، حيث أرسل عبيد الله المهدي الجوايسيس والعيون إليها، وعمل على مناصرة الثورات الداخلية، كثورة ابن حفصون، ثم أرسل حملة عسكرية من أجل إخضاع البلاد المغربية الموالية للأمويين في الأندلس، واستقبل الفارين منهم وأحسن إليهم. وفي المقابل اتخذ الأمويون عدّة إجراءات وقائية منها، اتخاذ حاكم الأندلس لقب أمير المؤمنين، وبدأ بمناصرة

الثورات الداخلية بالمغرب كثورة أبي يزيد (صاحب الحمار) التي كادت أن تطيح بالفاطميين ، ثم استقبل أعدائهم ، وأرسل فقهاء المالكية إلى مصر للوقوف في وجه الفاطميين، فضلا عن إرسال الجواسيس والعيون، كما حاول الأمويون التحالف مع البيزنطيين والفرنجة ، ضد الفاطميين.

## الهوامش :

(\* ) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام عبد الملك بن مروان بن الحكم الاموي، وأمه أم ولد تسمى مزنة، وكان عمره لما قتل أباه عشرين يوماً (انظر ابن الأثير، المصدر السابق، 143/6).

(1) محمد جمال الدين سرور، الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، دار الفر العربي، القاهرة، (د، ت)، ص 75-80؛ فاطمة جمعة الاتجاهات الحزبية في الإسلام، دار الفكر اللبناني، بيروت د، ت)، ص 131-135.

(2) الطبري، المصدر السابق، 2/356، 545، 573؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت 4/248؛ ابن عذاري، المصدر السابق، 1/349.

3 - أحمد المختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، (د - ت)، ص 235.

4 - العبادي المرجع نفسه، ص 235.

5 - الأمير شكيب أرسلان، الحلل السندسية في أخبار الأندلسية، دار مكتبة الحياة بيروت، (د. ت)، ص 42.

6- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق 235.

7 - ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1979، ص 107.

8 - ابن حوقل، المصدر نفسه، ص 108، أرسلان، المرجع السابق، ج 4/421.

9 - ابن حوقل المصدر نفسه، ص 105-106.

\* ابن هاني، محمد بن هاني بن محمد سعدون الأندلسي الملقب بأبي القاسم، وأحياناً بأبي الحسن، ولد بقرية سكون من قرى أشبيلية في بلاد الأندلس سنة 320هـ. (انظر، ابن خلكان، وفيات الاعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1970، ج 4 / 421).

\*\* مدينة المسيلة مدينة جلييلة على نهر يسمى سهر، بناها علي بن حمدون سنة 313هـ 927م بأمر من القائم، ثم استعمله وعلى اقليم الزاب كله إلى أن هلك في فتنة أبي يزيد الخارجي سنة 334هـ 948م (انظر البكري، المسالك والممالك، تحقيق : أدريان فان ليوفن، الدار العربية للكتاب، قرطاج، 1992م، ج 2/722).

10 - المد نغان من البرية كلها... جسمي وطرف بابلي أحور والمشرقات النيرات ثلاثة... الشمس والقمر والمنير وجعفر (انظر ديوان ابن هاني الأندلسي، دار صادر، بيروت 1964، ص 165).

11 - ديوان ابن هاني، ص 146.

12 - سرور محمد جمال، سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، (د. ت)، 1967، 219.

- 13 - ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق، ليفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، ج1/187.
- \* ببشتر بالأندلس حصن منيع، وهو حصن نزل عنه الابصار، فكيف بالأقدام على صخره صماء منقطه لها بابان، وكذلك قاعدة العجم، وله قرى كثيرة وحصون خطيرة، وما حوله كثير المياه والأشجار والكروم وشجر التين (انظر الحميري، أبو عبد الله محمد، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان بيروت، ص79).
- 14 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2/114، السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبار، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والاندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1969م، ص137.
- 15 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2/165. العبادي، المرجع السابق، ص239.
- 16 - السيد عبد العزيز سالم، وأحمد مختار، المرجع السابق ص174
- 17 - ابن عذاري، المصدر السابق، 215/1، القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار، الدولة الفاطمية بالمغرب، تحقيق، فرحات الرشرراوي، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، 1967، ج5/53؛ أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، (د، ت)، ص67.
- 18 - الجو ذري، سيرة الاستاذ جو ذر، تح محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي، دار الفكر العربي، ص175.
- ابن خلدون، العبر مج4، ص175-176، ابن الابار، المصدر السابق، 305/1.
- 19 - ابن خلدون، المصدر السابق مج 4/34-35
- 20 - البيان المغرب، 1/178.
- 21 - البكري، المصدر السابق، 2/769.
- 22 - البكري، المصدر نفسه. 2/769-770.
- \* مالقه مدينة حسنة حصينه ويعلوها جبل يسمى فأرة، ولها قصبه منبعه وربضان، ولا أسوار لها، وبها حمامات وفنادق وبها من الشجر أنواع التين ما ليس بأرض، وهو التين المنسوب إلى ريه، ومالقه قاعدة رية. (انظر شكيب ارسلان. المرجع السابق، 1/129)
- 23 - البكري، المسالك والممالك، 2/770-771.
- 24 - ابن عذاري، المصدر السابق، 1/180، البكري، المصدر السابق، 2/771-772.
- 25 - أين الاثير، مصدر سابق، ج6، ص190 ح ابن عذارى ذكر بأن بناء المسيلة، كان في سنة 313 هـ / 925م أنظر (البيان المغرب، جج1، ص215.
- 26 - ابن عذارى، مصدر سابق، ج2، ص205.
- 27 - ابن الاثير، مصدر سابق، ج6، ص354.
- 28 - ابن عذارى، مصدر سابق، ج1، ص222.
- 29 - ابن الاثير، مصدر سابق، جج6، ص354.

- 30 - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1984، ج1، ص106. أبن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص 354.
- 31 - سرور مرجع سابق، ص222
- 32 - أبن الأثير، مصدر سابق، ج349/6، سرور، المرجع السابق، ص220.
- 33 - أبن الأثير، المصدر السابق، ج349/6.
- 34 - أبن عذاري، المصدر السابق ج22/2، البكر المصدر السابق ج718/2.
- 35 - المقرئزي، اتعاط الحنفا، 305، ذكر المقرئ التلمساني بأن الحاكم بأمر الله أمر بأن يطاف به على جمل ثم قتل صبيرا في 13 رجب سنة 399 هـ انظر نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: احسان عباس - بيروت، 1968، مج 2، ص658-659.
- 36 - حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، 1992، ص 309-310.
- 37 - حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص372.
- 38 - العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص70.
- 39 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج157/2.
- 40 - المصدر نفسه، ج247/2.
- 41 - العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، 240
- 42 - العبادي، دراسات في التاريخ المغرب والأندلس 78.
- 43 - سرور، المرجع السابق ص221.
- 44 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج215-213/2.
- 45 - المجالس والمسائرات، 226/1.
- 46 - السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق 140-141.
- 47 - ارشبيالد. ز لوييس، القوة البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص249.